العائلة

مدخل:

العائلة ، مجموعة اجتماعية تنتج عن روابط القربي التي تصل الأفراد ببعضهم البعض ، ومن هذا المنطق ؛ فإن العائلة هي أصغر وحدة اجتماعية في المجتمع . إن شكل ونمط العائلة ، يتحدد وفق الظروف الخاصة،التي تحددها ثقافة كل مجتمع علي حدة. ومع هذا ، فإن هناك أربع وظائف ، مهمة قبلها المجتمع الدولي ، في تكوين الأسرة .

١- العلاقة الجنسية، بين أفراد المجتمع الذين يكونون الأسرة ، علي الأقل بين رجل وامرأة ، تلك العلاقة التي يقبلها المجتمع ، وينظمها القانون، بين رجل وامرأة . بالاضافة الي هذا ، فان هناك حقيقة مؤداها ، أن الرجل والمرأة بحكم تكوينهما محتاجان لبعضهما ؛ فالرجل في حاجة الي المرأة والمراة في حاجة الي الرجل.

٢- يلتصق بهذا تماماً ، خاصية أخري ، مهمة في إحداث الأسرة وتامين أستمراريتها ، فالرجل والمرأة ، منذالخليقة ، يكملان بعضهما البعض في مشاركة أقتصادية ؛ فطبيعة الأعمال التي يمكن أن يقوم بها كل من الرجل والمرأة مختلفة عن بعضها متباينة في مردودها ، هذا الإختلاف والتباين يتغير ، ويتبدل من مجتمع إلي آخر ، وفقا لخصوصيات كل مجتمع وبناءة الثقافي . والمشاركة الاقتصادية ، داخل الأسرة ، لا تتوقف عند أرتباط الزوجة بالزوج فقط ، بل تتعداها إلي وجود الأسرة ذاتها ، وأستمرارها ، وتامين وضمان تنشئة الجيل الجديد ، الذي يكفل أستمرارية المجتمع ذاته ، ورعاية هذا الجيل والمحافظة عليه .

في تلك الحالة ، لا يجب حصر التفكير هنا ، علي أن تلك المشاركة ليست عبارة عن مفاهمة أو أتفاقية معتمدة علي الناحية المادية فقط ، بل إن تنشئة جيل جديد ، وتربيته ، ورعايته ، والتي تحتل مساحة كبيرة ودوراً مهما في تكوين الأسرة ، تاتي نتيجة طبيعية لهذه الشراكة .

هذه النتيجة ، ستُادي بنا ، من تلقاء نفسها ، إلي وظيفة أخرى من وظائف الأسرة.

٣- تلك هي تنشئة جيل جديد ، داخل عش مُحاط بالحب ، والود ، وحرارة العلاقة الأسرية ، فصغير بني البشر ، يحتاج إلي رعاية أطول وأشمل ، عن سائر المخلوقات الأخرى . ومن هنا ، فإنه في حاجة إلي راعٍ ، ومحتاج إلي إهتمام ورعاية الأم والأب . ومما لا شك فيه ، إن بني البشر يولدون ومعهم بعض من ذكائهم ، ولكن لابد من تطوير هذا الذكاء ، وتنميته بالتوائم مع العوامل الخارجية . هذا التوائم ، هو الذي يجعل هذا الطفل ، فرداً في المجتمع الذي يُنسب إليه ، وينمي فية الإنتماء إلي هذا المجتمع ، وهذا بدوره ؛ يقودنا إلي الوظيفة الأساسية الرابعة للأسرة ،

٤- هي ، جعل الطفل ، والشاب جزء إجتماعي ، ولبنة مهمة في المجتمع ، والأمة التي يعيش بينهما ، تنشئته ثقافيًا وفقًا لهذا التلقي ؛ فرعاية الطفل وتنميتة ، وملاحظتة ، ومتابعتة ، وتغذيتة ماديًا ، ومعنويًا .. أمور كلها في غاية الأهمية . وعلي نفس القدر من الأهمية ؛ هناك أمور أخري ، ربما تفوق هذه في الأهمية ، تلك هي جعل الطفل إنسانًا ، مفيداً ونافعًا ، للمجتمع الذي يعيش فيه ، وجعله نموذجًا جيداً ، وتجسيداً طيبًا ، للميراث الثقافي لهذه الجماعة التي يعيش فيها . وتزيينه بالقيم والأخلاقيات التي سينقلها إلي الأجيال التي ستليه .هكذا ، نري أن العائلة ، مرتبطة بأربعة أسس تتولد عن بعضها البعض ، ومتشابكة بعضها البعض . وعند تناولنا للموضوع داخل خطة الأمه والمجتمع ؛ فإن أسس هذه النتيجة متشابكة ، ومتواصلة دائمًا ، وأن الرابعة معتمدة علي الوظائف الأخري .. وأن القيم والأخلاقيات ، التي تُميز أمة من الأمم ، وتضمن بقاءها ، واستمرارها ، هي من قبل كانت سائدة في الأسرة ، والأسرة هي التي تنقلها إلي الأجيال التالية ؛ وتأتي .. اللغة علي رأس هذه القيم وفي مقدمتها .. فالطفل يتعلم ، أول ما يتعلم لغتة من أُمه ، وأبيه .. ولكن تعميق ، وتطوير هذه القيمة مرتبط ، ومتعلق بالبناء الثقافي للأسرة .

فالطفل ، يتعلم من الأسرة أشكال ، وأنماط الحركة ، وقواعد التصرف المنبثقة عن آعراف ، وتراث المجتمع . فنجاح الطفل في علاقاتة بأفراد المجتمع ، وأرتباطه بهم ، منوط بالأسرة بشكل مباشر .

الطفل ، يتلقي معتقداته الدينية ، والإيمانية ، والأخلاقية ، والحياة وفقًا لها من الأسرة أيضًا .. ويجد ضالته ، وقدوته في التكامل الإجتماعي ، ومشاعر الإنتماء إلي

الأمة ، كأحسن مايكون في الأسرة .. فالأسرة هي الوسط الذي يجد الشخص فيه راحته ، وسكينته ، وأَمْنَه وأمانه ...هي الأرض الخصبة المعطاءة لإستمرارية الأجيال بشكل شرعي ... هي المؤسسة التي تحمي الإنسان من تمزقات العالم الخارجي .

هذه المؤسسة الأسرية ، تظهر تنوعًا ، واختلافًا ، وفقًا للمجتمعات ، وتطورها التاريخي ... وعالم الإجتماع .. يوضح ذلك وأسبابه .. ويصنفها في مجموعة من الأسر .. وأجمل تلك التصانيف هي :

١ – الأسرة الواسعة .. الكبيرة ..= العائلة

٢ – الأسرة النواة ..الصغيرة ..= الأسرة

١ – فالأسرة الكبيرة أو العائلة ؛ تعيش معًا ، تحت ظروف مختلفة ، في شكل عائلة .. فيما بينها أتحاد في الإنتاج والإستهلاك ، وتحمل فيما بينها ، خاصية ، الملكية المشتركة .

٢ – أما الأسرة النواة .. فتتكون من الزوج ، والزوجة ، والأولاد الذين لم يتزوجوا بعد ، والتي نشأت ، نتيجة انفصالها عن الأسرة الكبيرة .. وهذا النمط ، والشكل العائلي ، هو السائد في المدن ، والأكثر انتشاراً في المجتمعات الصناعية .

هذه الأنماط الأسرية ، تناولها من الناحية الإجتماعية يَخرج عن نطاق هذه الدراسة .. ولكن .. مهما يكن شكل الأسرة ونمطها .. فالأديان السماوية المعتمدة علي الوحي الإلهي وهي ؛ اليهودية ، والمسيحية ، والإسلام .. فهذه الأديان الثلاثة تحرم الزنا ، وتحترم العلاقة بين الرجل والمرأة ، وتُجل الأم والأب .. وتتحد هذه الأديان– إلي جانب هذا – فيما بينها في الدعوة ، والحض علي مساعدة الآقارب .. والجيران .. بل وحتي الخصوم ..

***

العائلة المسلمة

لم تتعرض الأسرة المسلمة . طوال التاريخ ، لتغيرات كبيرة ، فهي في الأساس ، بناء مرتبط بالجد ، ولكن ليس كذلك البناء الموجود لدي اليهود ، والرومان .. لم يكن ذلك البناء الأسري ، الذي يمنح رئيس العائلة سلطة غير محدودة ، أو ينظر إلي الزوجة ، والأبناء وكأنهم ملكًا ، ومتاعًا للأباء ، أو ينظر إلي العلاقة بين الأب ، والزوجة والأبناء ، وكأنها علاقه مادية فقط . ففي البداية ؛ كانت العائلة المسلمة التي تتشكل وفقًا لظروف ، وشروط الحرب ، وحياة الرعي ، والزراعة حتي وإن بدت وكأنها أجتماعيًا تُصنف ضمن نمط « العائلة الكبيرة » إلا أنها تختلف عن أنماط « الأسرة الكبيرة » في الثقافات الآخري . وعلماء الأجتماع ، يحاولون الإبتعاد عن إعطاء أحكام قاطعة في هذا الصدد . ولم يتم عمل إيضاح ، أو توضيح إجتماعي واسع النطاق للعائلة المسلمة ، داخل نطاق التطور التاريخي .. ولكن في اللغات الإسلامية، فإن تعبير « الزواج » أو « التزويج » يُفيد معني إنفصال الإبن ، أو الإبنة عن بيت الأب ، وتكوين منزل جديد مستقل . وتشكيل نواة جديدة ، لأسرة جديدة .. وترك بيت الأب للإبن الأصغر ؛ بمعني ما أن يصل الإبن إلي سن الزواج حتي يحمل مشاعره، وطموحاته إلي منزل جديد ، تاركًا منزل الأسرة للإبن الأصغر .. في بعض المجتمعات الشرقية ، كانت المرأة تتمتع بحرية كبيرة فهي تركب الخيل ، وترمي الرمح ، وتصارع، وتنضم إلي المحاربين ، مشاركة في الحروب ، وتعضيداً للمحارب . مولعة بالحفاظ علي شرفها ، وعفتها .. ويُعتبر سقوطها في أيدي الآعداء ، أثناء الحرب ، أي وقوعها في الأسر مذلة كبيرة.

وقد تشكلت في المجتمع الشرقي القديم ؛ قبائل معتمدة علي القرابة الأسرية ، وتلك القبائل في الغالب ما تحمل أسماء العائلة ، وتُعرف بها .

وبعد أن قبل الشرق الإسلامَ ، لم يحدث تغير كبير .. فإن الإسلام لم يُقر نظامًا أسريًا واحداً ، ولم يأخذ بنظام الأسرة الكبيرة ، أو العائلة الصغيرة ، كل بشكل مستقل وفقط .

لو تم دراسة التاريخ الأسري بشكل دقيق ، فسوف يتضح أن الأسرة كلما كانت

تعيش داخل نطاق عصور النظام والانتظام كانت الدولة أيضًا تعيش هذا النمط من الحياة . ومن هذا المنطلق ، ففي الآخلاقيات المشرقية وفلسفتها ، نجد أن مفاهيم الأسرة ، والوطن والدولة ، والأمة ، تتداخل في بعضها البعض تداخلاً كبيراً . فالأسرة تعني في نقطة ما ، نوع من التنظيم . والأسرة هي أول قنطرة أتصال أساسية تربط بين الفرد والمجتمع ! .

العائلة هي أساس المجتمع ؛ فإن العناصر التي تربط الأفراد ببعضهم البعض في المشاعر ، ووحدة الفكر ، والرحمة ، والشفقة ، والمحبة ، والإحترام ، والصدق ، والصبر، والقناعة ، والعفو هو المفهوم الديني الذي يغذي كل هذه القيم . وعائلة كهذه ، لابد وأن تهب المجتمع دائمًا ، أفرادًا من ذوي الشخصيات السوية .

ومن ناحية أُخري ، فإن كل قسم في المجتمع ، كان يحمل ماهية مكملة لما تهبه وتقدمه الأسرة لذلك المجتمع . ولم يكن هناك فرق في التربية بين المدرسة ، والبيت والشارع . ولهذا ؛ كان المحيط كله معدٌ لكي تكون الأسرة قوية . وكانت العائلة داخل كل متكامل من الأسرة ، والحي ، والتعليم ، والدين ، ولكن مع مرور الزمن ، فإن التفكك الذي أصاب المجتمع ، قد وجد صداة – أراد أو لم يرد – علي الأسرة . . هذا التفكك قد زاد طوال القرنين الثامن عشر ، والتاسع عشر الميلاديين = الثاني عشر، والثالث عشر الهجريين وأستمر كذلك . . وكان للأزمات الإجتماعية التي مرت بالأمة الإسلامية خلال هذه السنوات وخاصة الحروب – تأثيرها العظيم علي التشتت . وما أن وصل المجتمع الشرقي المسلم إلي أبواب العصر الصناعي ، حتي كانت أنماط العائلة التراثية القديمة قد بدأت في الذوبان .. وكان التصنيع ، والتمدن والتحول إلي المدنية من العناصر التي أسرعت بالتوجه نحو العائلة النواة = الصغيرة ، في بناء ، وتكوين الأسرة المسلمة .

* * *

العائلة المسلمة المعاصرة

إن الأسرة المسلمة المعاصرة ، يمكن دراستها ، وبحثها في مجموعتين ؛ وفقاً للظروف الإجتماعية ، والإقتصادية ، والمحلية ، وبعض التأثيرات الأخري الخاصة .

١- العائلة الكبيرة ؛ هو الشكل العائلي الذي يشمل الأبناء الذكور وزوجاتهم ، وأولادهم والذين يعيشون تحت سقف واحد ، وتحت سلطة الجد ، والجدة ، وهذا الشكل بدأ يقل رويداً ، رويداً .

ان الشكل العائلي الذي يمكن أن نُطالعه في هذا النمط داخل هذه الأسرة ، هو أن الخاصية الأساسية في العائلة الكبيرة هي انتقال السلطة من الأب إلي الإبن المتزوج .. وهنا ، تكون العلاقات داخل هذا النمط من العائلة ، ويختلف قليلاً عن النمط الآخر.. فقد انتقلت السلطة إلي الإبن المتزوج ، وأصبح هو رئيس العائلة .. وسلطة تشمل زوجته وأبناءه ، وربما والد ووالدة الرئيس إو أحدهما وكذا أخواته العذّاب ..

٢- العائلة النواة .. أي الصغيرة .. هو النمط الأُسري المكوّن من الأب والأم ، وأبناءهم العذّاب الذين يعولونهم . وهذا النمط العائلي ، هو الأكثر انتشاراً حالياً في المجتمعات الصناعية . ومن ناحية آخري ، فإن الأبحاث تُظهر أن نمط الأسرة الشرقية القديمة كان هو الأقرب إلي نمط الأسرة الصغيرة هذا .. هذا بالإضافة ألي أن الأب بالرغم من الهجرة إلي مكان آخر ، والتوطن في نفس القرية ، أو المركز أو المدينة ، وبالرغم من عدم مسئوليته عن الأبناء المتزوجون ، إلا أن هذا النمط . لهذه الأسباب وغيرها – قد اكتسب رواجًا ، وأنتشاراً ، في العصر الحاضر والمجتمع الحديث والمعاصر يرجح حاليًا هذا النمط الأُسري .

وإن غالبية الدساتير في الدول الإسلامية ، تذكر في بنودها المستقاة من الشريعة الغراء ، أن : « العائلة هي أساس المجتمع ونواته » وكلما كانت مؤسسة الأسرة سليمة ، وقوية ، ومتمتعة بالصحة ، فإن ذلك يؤمن قوة الدولة . وأن القيم الثقافية التي تطورت طوال التاريخ فإنها تعيش وتنمو داخل الأسرة ، وهذه الأسرة هي التي تنقل هذه القيم إلي الأجيال التالية .

إن سعادة الأسرة ، واستقرارها يؤثر بشكل مباشر في حياة الأمة . والرسول محمد ﷺ يقول مامعناه « ابحثوا عني وسط العائلة السعيدة » ومن هذا المنطلق يجب البحث في السُّبل التي تؤمن سلامة ، واستقرار الأسرة ، واستمرارها المنتظم .

* * *

الشروط التي يجب توافرها لضمان سلامة وأستمرار الأسرة

لقد رأينا سابقًا العوامل التي تُؤثر في تكوين الاسرة . ولكن أستمرار العائلة التي تشكلت ، وضمان هذه الإستمرارية لايمكن أن تتات من تلقاء نفسها .

إن العناصر التي تؤمن سلامة ، ومعيشة ، واستمرارية النظام الأسري ، يكمن بعضها داخل الإطار العام لمسئوليات ، ووظائف الأسرة ذاتها ؛ وأهم هذه العناصر يمكن تجميعها علي النحو التالي :

١- عوامل أقتصادية .

٢- عوامل مرتبطة بالتراث .

٣- عوامل حسية ووجدانية :

١- العوامل الاقتصادية :

لكي تكون منتجًا داخل الأسرة ، يجب ألأ تنظر إلي السن ، أو النوع « ذكر أو أنثي ؛ أو الوضع السني " هَرِم ، شاب ، صبي » فلكل فرد من أفراد الأسرة ، يجب أن يكون له وظائفة ، ونشاطه المنوط في تسيير أُمور المنزل وفقًا لقدراته . فالأب ملزم بتامين الدخل اللازم لإعاشة المنزل ، والأُم ، إذا كانت ظروفها تسمح ، أو تعمل فمن الطبيعي أن تُشارك في زيادة دخل الأسرة .. والأجداد ، والجدات إذا ماكانت لديهم إمكانات أو دخول " المعاشات ، الثروة ، أو المال ، فمما لا شك فيه أنهم سيساهمون في مواجهة الأعباء المنزلية للبيت الذي يعيشون فيه . أما أطفال البيت الذين يذهبون إلي المدارس ، فليس هناك مجال للحديث عن إمكانية عملهم خلال العطلات أو مشاركتهم في تلك الآعباء . أما أطفال المدارس المتوسطة " الإعدادي " ؛ فمن الممكن أن يتحملوا بعض الجهد في اعمال البيت [كالمساهمة في أعمال التنظيف ، والصيانه ..] أو رعاية إخوتهم الصغار ، أو المساهمة مع الأب ، أو الأم إذا ما كانوا يعملون اعمالاً خاصة [فلاح .. بقَّال .. فاكهاني .. خياط .. أي دكان آخر] .. فهم بمثل هذه الأمور يشاركون في تحمل بعض من آعباء الأسرة ، ويساهمون في دخلها . أما طلاب الثانوي ، والمدارس العليا ، فيجب أن يبحثوا عن إمكانية العمل في

العطلات ، فهم بذلك ، علي الأقل يرفعون عن كاهل الأسرة مصروفاتهم الشخصية . ويجب ألا يتبادر إلي الذهن أنه لكي تكون منتجًا داخل إطار الأسرة ، فلابد من أن تكسب نقودًا فقط . لا . . بل تستطيع أن تكون منتجًا ؛ عندما تعيش مع أفراد الأسرة جميعًا داخل النسق المتفق عليه ، أو أن تشارك في وضع ، وتنفيذ الميزانية السنوية للأسرة ، أو معرفة الحدود المصرح لك بالصرف في نطاقها ، أو البحث مع الأسرة في السبل التي تكفل خفض نفقات الأسرة ؛ بأي من هذه السبل ، تستطيع أن تكون منتجًا . . أو مثلاً لو أن في الأسرة سيدة يمكن أن تحيك ملابس أفراد الأسرة في البيت ، أو أن تنسج لهم ملابسهم الصوفية أو أن تجعل حاجيات الكبار ، تناسب مطالب الصغار . . فإنها بذلك تستطيع أن تخفف من آعباء الأسرة ماديًا .

وأعضاء الأسرة الآخر ، يستطيعون أن يساهموا هم أيضًا في ميزانية الأسرة ؛ بالمحافظة علي أشياء المنزل ، ومعداته ، وحسن أستخدامها ، والبقاء عليها نظيفة ، والمحافظة علي أدوات الدراسة ؛ كالكتب ، والدفاتر ، والمعدات ، و الأدوات لكي يستفيد بها إخوتهم أو أخواتهم من بعدهم ، فبحفظها ورعايتها يكونون بذلك قد ساهموا في رفع مستوي ميزانية الأسرة ، وبمثل هذه التصرفات البسيطة يكونون قد أسهموا مساهمة فاعلة في تسيير ، وتسهيل أعباء الأسرة .

ومن ناحية أُخري ؛ فإن حُسن تصرف الأباء والأُمهات فيما يتعلق بالمأكل ، والمشرب ، وحرصهما علي أن يكونا قدوة لأبناءهم بهذا الصدد ، وحسن التنشئة في هذه الجوانب ، سيؤمن للأبناء حسن التصرف في المطبخ ، وتعلم التعود ، والتدرب علي نمط التغذية المتوازنة ، وتطبيق نظام غذائي صحى وإقتصادي ، وفي نفس الوقت، معرفة أن الإسراف في تناول الطعام ، والتغذية المفرطة ليست مفيدة لكل أفراد الأسرة، إن التعود علي شراء المواد الغذائية من أماكنها النظيفة ، والرخيصة ، والتركيز علي النوعيات الأكثر فائدة لما يكمل هذا الإتجاه .

بالاضافة إلي الإبتعاد عن البذخ المظهري ، والسفه والإسراف في الولائم ، والدعوات ، وعدم تخصيص بنود في ميرانية الأسرة للمشروبات الكحولية ، والدخان بكل أنواعه ، بل التركيز علي إبراز مضار هذه المواد المسكرة ، والمخدرة ، كل هذه

لما يدخل ضمن عناصر الإنتاج لكل أفراد الأسرة . وتمنحهم جميعًا ؛ المفاهيم المهمة التالية :

١- إن كل فرد من أفراد الأُسرة مسؤول عن تسهيل حياة الأسرة كلها ، وعليه أن يقوم بما يقع عليه من هذه المشاركة .

٢- إذا كانت الأم تعمل ، إلي جانب أعمال المنزل ، فعلي كل مَنْ في المنزل - بَمْن فيهم الأب - المساهمة ، بل والمساعدة الفاعلة في أعمال المنزل .

٣- لابد أن يُشارك كل أفراد الأُسرة - ذكوراً - وإناثًا - في الأعمال المنزلية ؛ كإعداد المائدة ، ورفعها ، وأعمال النظافة ، وتخزين الأثاث المنزلي ، وكي الملابس ، وإخراج الزبالة كل حسب طاقته ، وإمكاناته ، وإن تادية مثل هذه الأعمال الخفيفة بشكل مرح بين الإخوة يمكن أن يكسبها متعة إلي جانب القيم الجميلة .

٢- العوامل المرتبطة بالتراث:

الإحترام في العلاقات داخل الأسرة ؛ إن الأب هو رئيس العائلة ، في النظام الأُسري الشرقي والأم ، صاحبة حقوق متساوية معه . الأب يحمي النظام في المنزل ، وبين أفراد العائلة ، وهو ممثلها في المحافل الإجتماعية والأم ؛ تحل آلام العائلة ، والمنزل، وضوائقها .. وتُزيل الخلافات ، والخصومات ، بل وتُلين ، وتحل الأزمات وما يمكن أن يظهر في اي بيت مما يعكر صفوة .

ومن هنا ، يلزم أن يعرف جيداً كل أب ، وكل أُم الواجبات والمسئوليات المنوطة به تجاة المنزل ، والأسرة . وأن يخططا سويًا الحدود الفاصلة بين مسئوليات كل منهم بالتفاهم ، وألا يتدخل اي منهما في واجبات ومسئوليات الآخر ، ولو حدثت اي تداخلات ، أو سوء فهم ، أو عدم تفاهم في حين من الأحيان ؛ فعليهما ؛ أي علي الأب والأم أن يُحلا المشكلة بالحسني ، وبالرضي ، وبدون الزج بالأبناء ، أو الأجداد ، أو أي منهم جميعًا في هذه الأمور..

ولكي ندرك ما المقصود بالإحترام داخل الأسرة ، ونقف علي هذا المعني ، وقوفًا ، كاملاً ، فلنعدد بعض الأمثلة الواضحة والقابلة للتطبيق الفوري :

- الوقوف للكبار تجرد مجيئهم ، وإفساح المكان لهم ..

– مقابلة رغباتهم ، وطلباتهم بالفهم ، ومحاولة تلبية هذه المطالب في نطاق الحدود المتاحة .

– عدم مقاطعة الكبار وهم يتحدثون . .

– وعند تحدث الصغار يجب التصرف حيالهم ، والإصغاء لهم ، وكأنهم كباراً . .

– التحدث دون رفع الصوت عند الحديث . .

– إذا لم تكن موافقًا ، أو مؤيداً لما تسمعه مِمَنْ أمامك ، وإذا كان أكبر منك سنًا ، فعليك بإبتسامة لطيفه أن تستسمحه في التعبير عن رأيك ، كأن نقول مثلاً . . "لو سمحت . . أو تسمح لي فلسوف أعرض وجهة نظري أنا أيضًا . ." وتعبر بلطف، وصدق عمَّا تود التعبير عنه ، أما إذا كان المتحدث أصغر منك فعليك أيضًا أن تُوضح أو تَشرح ما تود قوله بأسلوب ليِّن ، كأن تقول مثلاً . . (أظن لو أن . . لكان أفضل . .) .

– الشكر علي الهدايا المقدمة ، والإمتنان بها ، واستخدامها . .

– طلب الإستشارة ، والرأي إذا لزم الأمر . .

– لو كنت قداتخذت قراراً يخص الأسرة ، فعليك أن تخبرهم جميعًا – غالبًا وأنتمُ علي المائدة – بهذا القرار وبشكل مفرح . .

– عند التحدث ، أو مخاطبة الآخرين ، فلابد من الإبتعاد عن العبارات التي تنم عن السخرية ، أو مايشبة الإستهزاء مثل (ولد . . طفل . . إخرس وأنت مالك . . لايعنيك . . هل جننت . .) أو مثل هذه العبارات . . (جحشنًا . . حمارنا . .) أو العبارات الشعبية أو العامية الجارحة . .

– التحدث دون إستخدام ألفاظ السباب ، والشتائم . .

– عدم الجلوس ، أو الرقاد ، أو التمدد أمام الكبار ، أو أفراد العائلة بشكل مستهجن ، أو مد الرجلين . . أو اللعب فيما بين أصابع الأرجل ، أو الأنف ، أو وضع رجلاً علي الأخري بشكل قبيح . .

– إذا كنت تدخن ، فلابد من إستئذان الآخرين .

– إشعال سيجارة المدخن . .

– إفساح المجال للكبار أولاً ، ثم السيدات ثم الأطفال للدخول من الأبواب ، والتقدم علي السيدات عند الصعود من السلالم ، أو النزول منها . .

–عدم إستضافة أحد علي الطعام بشكل مفاجيء .

– إتمام التعارف بين صديقك الذي أحضرته إلي المنزل والمقيمين به .

– يجب أن تقوم أنت بالتعارف ، وإذا كنت أنت الضيف فيجب أن تتعامل مع أفراد أسرة صديقك بما يجب أن يكون تجاه كل منهم ؛ كتقبيل اليد ، أو السلام بالمصافحة ، والسؤال عن الأحوال . .

– لابدمن التوائم مع الإتجاه العام في البيت تجاه اي موضوع كـ (قضاء عُطلة ، أو دعوة ضيف ، أو شراء أمتعه . . الخ) والسعي بقدر الإمكان للإلتزام بهذا الاتجاه العام ، بعد بحثه وتمحيصه . . وإذا كانت هناك أسباب موضوعية لعدم التوافق مع هذا الإتجاه العام ، فيجب توضيح ذلك دون صخب ، أو ضوضاء ، أو زعيق . . بل حل الأمور بتوضيح الأسباب التي دعتك إلي هذا الموقف . .

التصرف داخل المنزل

للمعيشه داخل المنزل ، ولمتطلبات الحياه اليومية بعض القواعد ، والتصرفات ، والملابسات التي يجب مراعتها بهذا الصدد ؛

– عدم التجول داخل المنزل عاريًا ، أو شبه عاري ، أو بالملابس الداخلية كالحمالات ، أو البيجامات أو قمصان النوم .

– التواجد مع أفراد الأسرةعلي طعام الإفطار بعد حلاقة الذقن ، أو الوضوء والصلاة، وتصفيف الشعر ، وإذا لم تكن هناك مغادرة للبيت ، والخروج إلي ، الشارع، فعند البقاء في المنزل يجب ارتداء الملابس المنزلية ، أو البنطلون المنزلي ، أو الروب فوق الملابس المنزلية ، والإنتقال بنعل منزلي .

– علي كل فرد من أفراد الأسرة ، عند جلوسه إلي الطعام ، وخاصة طعام الإفطار ، أن يكون مبتسمًا ، وأن يُحي كل الموجودين علي المائدة بوجه صَبُوح .

– يجب علي كل فرد من أفراد الأسرة ، مهما كان مزاجة العام أن يجيب علي الأسئلة أو التساؤلات التي توجه إليه بمرح ، وانشراح صدر ، وأن يُلبى ما يُطلب منه .

– أن يتوائم مع مواعيد الطعام في المنزل ، ولا يدع الآخرون ينتظرون كثيراً .

– أن يبدأ الطعام مع الجميع ، وأن ينهض مع الجميع .

– عدم التحدث عن الأخبار المزعجة أو المحزنة ، أو المملة أثناء تناول الطعام . والبعد عن الموضوعات المؤلمة .

– ضرورة التنويه بجهد الذين أعدوا الطعام ، والمائدة وإستحسان ما قاموا به بكلمات المجاملة المعتادة .. "تسلم الأيادي .." "طعام لذيذ" . "تنسيق بديع.." .. الخ

– ضرورة النظر إلي مائدة الطعام ، وكأنها مجلس العائلة ، وضرورة حُسن إستخدام هذه المناسبة بالشكل المناسب والأمثل ..

– عدم النسيان أنك لست الفرد الوحيد في الأسرة ، وعدم تجاهل الآخرين ، ومتطلباتهم .. وإذا ماتم ذلك فعليك :

– عدم إزعاج أفراد الأسرة الآخرين عند إستخدام المزياع أو الهاتف ، أو التلفاز أو الكاسيت .. ومراعاة ظروفهم ..

– إذا كان الوالد ، أو الوالدة يتابع برنامجًا ، أو مسلسلاً ، وأردت أنت تغيير القناة، أو الموجة ، فلا تفعل ذلك قبل الإستئذان ، ويجب مراعاة ذلك حتي من جانب الوالد والوالدة .. فهذه المعدات متاع مشترك بين أفراد الأسرة ، وعلي الجميع إستخدام هذه المعدات بشكل ينم عن التفاهم ، والتعاون .

– إعطاء الحق المطلق للأبناء في التحدث مع الوالدين ، كل حسب موضعه ، ومناقشة كافة أمورهم بتفاهم ، وروية وتعليمهم بما يجب أن يكون حيال الموضوع المبحوث .

– يجب أن يعتاد الأبناء علي التحدث بإرتياح مع الآباء ، وأن يتعودوا علي ذلك في إطار من الإحترام ، والحرية ، وأن يكون دور الأم دور رائد فى هذا الصدد . وهو أمر ميسر للأمهات اكثر من الآباء .

– يجب البعد عن الظهور بمظهر بعيد عن الحقيقة ، وألا يحاول كل عنصر من عناصر الأسرة إمتلاك كل ما يري ، أو تحقيق كل ما يرغب علي حساب الآخرين ، فمثل هذه التصرفات تخلق القلق ، والإزعاج داخل الأسرة . وأن يؤيد المطالب المعقولة للآخرين ، ويبتعد عن كل ما من شأنه الإخلال بعوامل الإستقرار العائلي .

– مع أن التعاون ، والمعاونه واحد من أهم أسس الإحترام العائلى ، إلا أنه من المناسب أن تقوم بالأعمال التي يمكن أن تقوم بها بنفسك . إلي جانب المعاونة في :

– مكواة الأُم ، وإصلاحات الأب ،

– مساعدة الجد في ري الحديقة ،

– مساعدة الجدة في الذهاب إلي طبيب الأسنان ،

– وأن يساعد الزوج زوجته ، والزوجة زوجها ،

– وفي حمل المشتريات ، وشراء الجرائد ، والخبز والمشروبات الخاصة بالبيت ، ومستلزمات البقالة . . الخ مثل هذه التصرفات المتعاونة ، هي التي تخلق جو الاحترام المتبادل بين كل عناصر الأسرة .

٣- العوامل الحسية والوجدانية :

تتكون الشروط الحسية "العاطفية" من مشاعر الحب ، والحماية ، والثقة ، والتضحية وغيرها من تلك المشاعر التي تجعل من العائلة شيئًا مقدسًا ، وكلاً مترابطًا لا يمكن تفتيته .

إنه من الأمور الأساسية أن يحب أفراد العائلة بعضهم بعضًا ، وأن تكون فيما بينهم ثقه متبادله ، وإيمان مشترك ؛ إن حياتنا اليومية مشحونة بالأحداث التي تُعبر عن هذا الحب ، وهذه الثقة والتي تدفع إلي تطوير هذه المشاعر ، وكم من المناسبات ، والأيام الجميلة ، والأعياد ، والإحتفالات ، والمهرجانات التي من الممكن أن تدعم هذه المشاعر ، لو حرص كل فرد من أفراد العائلة علي تذكر الآخرين ، وتحديد مشاعره نحوهم ، والأعتراف لهم بهذه المشاعر، ومشاركتهم في إحياء هذه المناسبات الجميلة. ويمكن أن نشير إلي بعض من هذه الأيام ، والمناسبات التي تذكي هذه المشاعر .

- أيام الميلاد وأعيادها .
- بداية دخول المدرسة بالنسبة للصغار .
- النجاح في الفصول الدراسية .
- أيام الإنتهاء من الدراسة .
- يوم بلوغ سن الرشد ، والجندية .
- يوم التسريح من القوات المسلحة .
- يوم بداية الوظيفة ، والعمل الجديد ، والترقي .
- يوم تقاضي أول مرتب ، أو تلقي أول مبلغ من الجهد الخاص .
- يوم عيد الفطر ، وعيد الأضحي .
- يوم المولد النبوي ، والأيام الدينية الأخري .
- يوم عيد الأم ، عيد الأباء ، وختان الأولاد .
- أيام رأس السنة سواء الهجرية ، أو الميلادية ، أو المولد ، أو الخطوبة ، والزواج ، فهذه كلها من المناسبات التى تدعم المشاعر بين أفراد الأسرة .

* * *

التهـادي

كل هذه الأيام هي من المناسبات السعيدة التي يمكن أن تجمع شمل العائلة الكبيرة، وتكون وسيلة لتجمعهم في مكان واحد ، وأن تبادل الهدايا ، وقبولها ، وتقديمها لمن الأمور التي تضفى علي هذه الأيام طعمًا ، وذوقًا آخر . وتشدد من أواصر المحبة فيما بينهم .. (تهادوا تحابوا .. "ﷺ")

– إن نبي الإسلام ﷺ يحض علي التهادي . والهدية ليست بقيمتها المادية ، أو بمظهرها ، إنما بالقيمة المعنوية وما يترتب عليها من تحابب . وكم من حديث نبوى شريف يحض على البذل والعطاء والتهادى .. فالكلمة الطيبة حسنة . والبسمة عطاء حضاري .. ﴿ كلمة طيبة خير من حسنة يتبعها أذي ﴾ ويجب مراعاة ما يلي عند شراء الهدايا ، وتقديمها :

– أن تلائم الميزانية المتاحة ، وتتوائم معها ، وأن تكون من القلب ..

– أن تتناسب الهدية مع شخصية المُهدَى إليه .

وأن يكون المُهدَي إليه قادر على الإستفادة من الهدية ،

– أن تُقدم في الوقت المناسب ، والظرف الملائم ..

– يجب عدم الإنتظار لأي مقابل .

– يجب عدم التسابق والتفاخر بالتهادي ، والوقوع تحت تاثير الرغبة الملحة في التعالي ..

يجب عدم وضع المهدي إليه في حالة الإحساس بعدم القدرة علي تحمل هذا الجميل ، وتبعات الهدية ، ومايترتب عليها ..

يجب عدم الإحساس بضرورة تقديم مقابل ..

– إن الهدية يجب ألا تكون نوع من الإكرام ، أو البقشيش الذي يقدم كلما خطر علي البال خاطر ، وألا تكون الأيام والأعياد التي سبق ذكرها سيفًا مسلطًا علي الرقاب لا يبُعد إلا بتقديم الهدية ، إنما مجرد وسائل لتسهيل عملية التهادي بين أفراد

العائلة . إن الجانب المهم هنا ، هو تذكير أفراد الأسرة بحبك لهم ، وأن هذه الأيام ما هي إلا وسيلة لتجديد وتنشيط هذا التذكر، والتعبير عن حرصك علي حبهم ، ومحبتهم .

الأيام المشهودة

إن الأيام المشهودة كالإنتهاء من الدراسة ، والتخرج في الجامعة ، والتجنيد ، والتسريح من الجندية ، وبدأ الوظيفة ، ونيل شهادة ، أو وسام ما ، أو تقدير لجهد مبذل لمن الأحداث التي يمكن للعائلة أن تجعلها من العادات ، والأعراف ، والتقاليد التي تحتفل بها العائلة بإقامة وليمة ، إو حفل بسيط يدعم الترابط الأُسري ويرسم البسمة علي وجوة أفرادها . وتكون وسيلة لتجديد التحابب وقضاء يوم سعيد بشكل جماعي . وتكون فرصة لنيل الدعاء ، وإفتخار الأبوين .

في مثل هذه الأيام يجب ان يتم إعداد الطعام الذي يحبه المحتفى به ، وبطل المناسبة . وأن يفتتح هو الحلوي التي يفضلها . إن محاولة إسعاده هي في حد ذاتها أجمل هدية يمكن أن تُقدم إليه .

علي الأسرة أن تُعطي أفرادها الصغار الحق في أن يحتفلوا بأعياد ميلادهم مع أصدقاءهم وأترابهم .. ولكن يجب ألا ننسي حق الأسرة، والعائلة أيضًا .. ومن هنا ؛ على الأم أن تعد ترتيبًا ، أو تخطيطًا جميلاً يرضي كل الأطراف بدرجة ما ، كأن يكون للأُسرة يوم ، وللأصدقاء يوم آخر ، أو الجميع معًا ، أو ليلاً للأُسرة ، ونهارًا للأصدقاء مثلاً ..

المشاركة في الشدائد والأحزان

- شكل آخر من التعبير عن الحب ؛

إذا ما ألم بأحد أفراد الأسرة أزمة صحية ، أو تعرض لحادث ما ، فإن الإهتمام به ، ومساعدته ، وتسليته ، والتسرية عنه ، وشراء أدويته ، والحرص على إعطاءة هذه الأدوية ، ومسح العرق الذي يتصبب منه ، ومساعدته علي تناول الطعام ، والتصرف معه ، وحياله بما يشعره بأنه ليس وحده ، بل الكل يشاركه ، والكل علي ثقة بالشفاء

تعاجل ، والعمل علي رفع معنوياته .. هذه الأمور من واجبات ، ومسئوليات أفراد الأسرة ، حيال فرد من أفرادها . وعليهم مراعاة مايلي :

– إذا كان هناك مريض .

فيجب عدم الإزعاج ، والإقلال من الضوضاء .

عدم فتح التلفاز ، والمزياع عن آخره .

عدم دعوة ضيوف بشكل يسبب زحام في مكان وجوده .

عدم ترك المريض وحده ، والذهاب في ضيافه آخرين .

مراعاة عدم تناول الطعام أو الشراب بجوار مريض في حالة صيام ..

إن التصرف بعنف وقسوة تجاة المريض ، أمر مرفوض ، وخاطيء حتي ولو في ذلك مصلحة للمريض .

– ما يجب علي المريض .

عدم إيذاء من حوله ، وأنه يحبهم جميعًا ..كلما زادت قناعته وثقته في الشفاء ، فإن ذلك يعجل بالشفاء فعلاً ولا يطيل ذلك فترة المرض .

– علي أفراد الأسرة عدم التحدث عن تكاليف العلاج ، أو تصرفات الأطباء ، وأسعار الأدوية ، وغلاءها أمام المريض ، والحرص الكامل علي عدم عقد مقارنه ، أو الحديث عن أمراض أو مرضي آخرين .

– كما يجب عدم طرح أسئلة علي المريض ، وخاصة تلك التي تتعلق بصحته ، أو تغيّر في لونه ، أو وزنه أو التساؤلات الي تخلق لديه أي نوع من القلق والإنشغال .

– إن تقديم زجاجة عطر ، أو قميص نوم ظريف ، أو كتاب مفرح خفيف الظل ، أو باقة ورد صغيرة للمريض الذي تعافى ، وتحسنت صحته ، والإحتفال بعودته لمن أهم الإشارات المرتبطة بمشاعر المحبة المتبادلة .

– إن التقاليد الإسلامية تحض علي زيارة المريض ، ولكن بشرط التخفيف من الزيارة ومن هذا المنطلق يجب مراعاة ظروف المريض ، إذا كان يريد الإختلاء بنفسه ، أو إذا ماعبر عن خوفه أو قلقه من الوحدة ، فيجب مراعاة ذلك ، والعمل علي تحقيق

رغبته .. كما يجب عدم إظهار علامات السخط ، وعدم الرضي من تصرفات المريض بل مقابلة ذلك بالإبتسامة ، والبشاشة ، والتفاهم ، وإظهار الشوق إليه ، وإلي عودة البسمة علي وجهه .

– إذا ما آصاب واحد من أفراد الأُسرة كدر ، أو حزن ؛ كفراق صديق ، أو موت عزيز عليه ، فيجب ألا يترك وحيداً ، بل يجب أن يُعرض عليه الخروج إلي صحبة ظريفة ، أو نزهة صغيرة ، أو وليمة خفيفة .. أو شراء تذكرتين للسينما أو المسرح .. بإختصار ؛ المطلوب هو تصرف يُشْعره بأنه ليس وحده ، بل الكل يشاركه كدره ، وآحزانه .. وأن أي تصرف من هذا النوع هو خير دليل علي المشاركة الوجدانية ، وتدل دلالة صادقة علي الحب الجميل .

* * *